

وقد أجمله جون لانجدون دافيز صاحب « التاريخ الموجز للنساء »^(١) فقال :
« إن عصر الفروسية كان معروفا بما لحظ فيه من فقدان الشبان على الجملة الاهتمام
بالجنس الآخر . ولعلنا نقلل من الدهشة لذلك لو أننا وعينا كلمة الفروسية وذكرنا
أنها لم تكن ذات شأن بالسيدات كما كانت ذات شأن بالخيال على خلاف ما يروق
الكثيرين أن يذكروه . فقلنا بلغ الاهتمام بالمرأة مبلغ الاهتمام بالحصان في عصر
الفروسية إلا على اعتبار أنها عنوان ضيعة » .

إلى القارئ محادثة من كتاب أغاني الآداب والتحيات Chanson de Geste
يروى فيها أن ابنة أوسيس Auceis جلست في نافذتها ذات يوم فغبر بها فتيان - هما
جاران وجربرت - وقال أحدهما : « أنظر . أنظر يا جربرت : وحق العذراء ما
أجملها من فتاة ! فلم يزد صاحبه على أن قال : يا لهذا الجواد من مخلوق
جميل ! . . دون أن يلتفت بوجهه . . وعاد صاحبه يقول مرة أخرى : « ما أحسبني
رأيت قط فتاة بهذه الملاحظة . ما أجمل هاتين العينين السوداوين ! » وانطلقا
وجربرت يقول له « ما أحسب أن جوادا قط يماثل هذا الجواد » وهي حادثة صغيرة
ولكنها واضحة الدلالة ، إذ قلة الاهتمام تورث الإزدراء . . والحق أن عصر الفروسية
يرينا بعض الشواهد الواضحة على هذا الإزدراء . وإليك مثلاً حادثة في الكتاب
المتقدم يروى فيها أن الملكة بلانشفلور ذهبت إلى قرينها الملك بين Pepin تسأله
معوثة أهل اللورين . فأصغى إليها الملك ثم إستشطا غضبا ولطمها على أنفها بجمع
يده فسقطت منه أربع قطرات من الدم وصاحت تقول : « شكرا لك . إن أرضاك
هذا فأعطني من يدك لكمة أخرى حين تشاء » .

ولم تكن هذه حادثة مفردة لأن الكلمات على هذا النحو كثيرا ما تتكرر كأنها
صيغة محفوظة . . وكأما كانت اللطمة بقبضة اليد جزء كل امرأة جسرت في عهد
الفروسية على أن تواجه زوجها بمشورة .

« . . . ومتى كانت المرأة تزف إلى زوجها عفو الساعة وكثيراً ما تزف إلى رجل لم

Short History of Women By John Langdon Davies

(1)